# رؤية متجددة في الأقلية والعصبية عند ابن خلدون

## A Renewed Visio in Minority and Neurological At Ibn Khldoon

**د.عثمان سراج الدين فتح الرحمن***
**كلية الإنسانيات والعلوم،قسم الاجتماع،**
**جامعة عجمان - الإمارات العربية المتحدة**

**********

تاريخ الإرسال: 2019/07/24 تاريخ القبول: 2019/07/31 تاريخ النشر: 30 /2019/09

**الملخص:**

يهدف البحث الى قراءة تحليلية لمقولات ابن خلدون فى العصبية من ز ويه اجتماعية حتي نستطيع التعامل معها نظريا فى دراسات علم الاجتماع المعاصر لخلق التواصل الفكرى مع مقولات ابن خلدون.

يحتوي البحث على ثلاثة محاور أولها يناقش الإطار المفاهيمى ، والثانى يناقش واقع الاقليات فى الوطن العربى وتأثير ذلك على وجود الانقسامات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. الثالث يعرض الى سيوسيولوجيا الاقليات فى الفكر الخلدونى من خلال العصبية وبناء الاقليات وتحديد الهوية فى إطار عصبية الدم، ومعنى الأغلبية وبناء السلطة وتكريس الأقلية.

**كلمات مفتاحية**: الهوية، العصبية، الأقلية، القبيلة التنوع الثقافي

* o.ahmed@ajman.ac.ae

**Abstract:**

The research objectives at giving an analytical sociological review of Ibn Khaldoon's statements through sociological to which can be theoretically dealt with in the contemporary social science with the purpose of creating an ideological dialogue with Ibn Khaldoon's statements.

The research divided into three parts: the first one discusses the conceptual framework; the second discusses the reality of minorities in the Arab world and its impact on the existence of social, political and economic divisions.

The third part previews the sociology of minorities in the ideology of Khaldoon through radicalism, minority's structure, identifying the identity in the framework of blood radicalism, and the meaning of the majority, the structure of power and the supporting minority or elite.

**Key word**s: Identity, intolerance, minority, tribe, cultural diversity

**المقدمة:**

يعتبر ابن خلدون من المفكرين الذين قدموا إسهامات واضحه فتاريخ الفكر الاجتماعى فيما يتعلق بدنامية البناء الاجتماعي الذي يصور واقع عصره، ومع ذلك فإن ما أتى به ابن خلدون يظل ضرروه لازمه لدارسى علم الاجتماع يجب الاشتغال عليه. والدراسة التى بين يدينا هى محاوله لتطبيق فكر ابن خلدون فى الظواهر المعاصره وبالذات فى بناء الأقلية من خلال الاجابه على السؤال الرئيسى للدراسه وهو هل استطاع ابن خلدون أن يقدم لنا رؤية اجتماعية حول موضوع الأقلية يمكن مقارنته مع الواقع الراهن لبناء الأقليات فى المجتمع العربى المعاصر؟.

**مشكلة البحث:**

على الرغم من مرور عديد القرون على ابن خلدون إلا أننا نجد أن الفكر الخلدونى عند دارسى علم الاجتماع العرب المعاصرين مكبل القيد، فالناظر الى المنتوج حول ابن خلدون جعل منه ظلا للسيوسيولوجيا الغربية مع بداية دعوة كونت لعلم الاجتماع وهذا يتبدى فى الآتى:

جدلية الاثبات والنفى التى دأب عليها دارسى علم الاجتماع العرب وأصبحت سمه متكرره تدرس لطلاب علم الاجتماع ،هذه الجدليه تتجه فى محاولة إثبات أن علم الاجتماع تأسس على يد ابن خلدون( ولا نزايد أو ندعى غير ذلك) فلو نظرنا الى كل كتب مبادئ ومقدمات علم الاجتماع الصادره عن الكتاب العرب تجد أنهم يسيرون على نمطية أسبقية الفكر الخلدونى على الفكر الكونتى .

ما كتب عن ابن خلدون تناول نقاشات تفسيرية وليست تحليلية لمقدمة ابن خلدون وما جاء فيها من اسهامات فى التاريخ والاجتماع والسياسة، هذا فى حد ذاته ضروره إلا أن الأهم أن نقوم بتأسيس فكر خلدونى يتعامل مع وقائع اجتماعية وسياسية معاصره على إعتبار إننا لا نقف عند مقولات خلدونية وإنما نظريه اجتماعية وسياسية قد ندعم بعضها ونقف موقف الايجابى منها

أو ننتقدها ونقف موقف السلبى منها، وهنا نستطيع أن نؤسس لمدرسة خلدونية فى علم الاجتماع وإن إختلف المكان والظرف الاجتماعى، فما بالنا نتعامل حتى اليوم مع مدارس فكريه قديمة فى علم الاجتماع فرنسية أوإنجليزية أو أضررنا بالفكر الخلدونى من حيث أردنا النفع.

وفى ذلك يقول فردريك معتوق " من الواضح إن نقل علم الاجتماع الى الثقافة العربية مطلع القرن العشرين لم يكن نقلا منهجيا لعلم من العلوم ظهر وتطور فى الغرب... فلم يتأسس تعليم مادة علم الاجتماع عندنا على الاجتماع الخلدونى ولا اتجهت الأبحاث فى مفهوم العصبية وثنائية البدوى/ الحضرى مثلا بحيث استسهل العاملون الأوائل فى علم الاجتماع اللجوء الى ترجمات مجزاءه .. فالعالم العربى لم ينطلق من مخزونه النظرى الخاص الموجود عند ابن خلدون بل أدار له ظهره وتجاهله كمخزون علمى" ( معتوق، 2:2001).

إن التأسيس لعلم الاجتماع العربى (هذا اذا سلمنا بأن هنالك هويه إقليمية أو قطرية للعلم) دعوه ظلت مستمره فى العقود الآخيره وبرزت بشكل أكثر وضوحا مع الاصداره التى قدمتها الجمعية العربية لعلم الاجتماع والتى نشرت عن طريق مركز دراسات المستقبل بعنوان نحو علم اجتماع عربي (لبيب، :81989-12). (خليل،:331992-37).

المهم هنا ليس الدعوه الى قيام مدرسة الاجتماع العربى بقدر ما الأهم هو بناء طراز نظرى منهجى لهذه الدراسة ، ولكنا كمشتغلين فى علم الاجتماع بالوطن العربى نتفق على أن مرجعية هذه المدرسة هو ابن خلدون ولكننا فشلنا فى خلق التواصل الفكرى معه وظللنا نتعامل مع ابن خلدون من باب الفخر والاعتزاز بأننا العرب أول من نادينا بالسيوسيولوجيا ، وهذا أحد الاسباب التى أعاقت نهضوية الفكر الخلدونى فى عقولنا ، بمعنى كيف يمكن الاستفاده من مقدمة ابن خلدون والاشتغال عليها فى قضايا المسكوت عنه مجتمعيا –حتى وإن كان ابن خلدون وقف موقفا محافظا من أوضاع مجتمعية فى حينه- فآفة دارسى

علم الاجتماع فى بلداننا العربية دخولهم فى المساومة الخفية مع البئية الاجتماعية والمعرفية السائده فأصبحوا حرسا للنظام الاجتماعى القائم.

هذا الاستيطان المعرفى أخطر ما يعانى منه العلم حيث أنه يشل الطاقة الفكرية من ناحيه ويبعد صاحب العلاقة عن الواقع من ناحيه أخرى. وحتى لا أتهم بالتسرع فى إطلاق الاحكام فهناك فى داخل النفق المظلم إشعاع نهضوى يقوده مفكرون عرب وإن كانوا قليلى العدد من أجل جعل دراسات علم الاجتماع واقعا يقوم على النقد القائم على الاستفاده من نظريات ومناهج علم الاجتماع المتجدده والمتأصله.

لذا نحاول هنا البحث فى قراءه تبعد عن الاتجاهات الكلاسيكية التى كبلت الفكر الخلدونى فى المقاربات "الفطيره" و إبراز واقع معاصر فى هذا الفكر يتمثل فى مقاربة بناء الاقليات فى الوطن العربى فى التاريخ المعاصر ونظرية العصبية وبناء السطلة عن ابن خلدون ، مع الاشاره الى أن أهمية الفكر الخلدونى لعلم الانثربولوجيا السياسية والعلم الاجتماع السياسى ، ليست بالفكره الجديده فقد أثارها احمد ابوزيد فى مقال له تحت عنوان موقفنا من التراث، الذى أوضح فيه التواصل بين آراء ابن خلدون عن العصبية والانثروبولوجيا السياسية( ابوزيد، 1983:3-10).

**أسئلة البحث:**

يحاول البحث الاجابة على التساؤلات التالية:

1/ هل استطاع ابن خلدون ان يقدم رؤية أفادت فة فهم بناء الدولة العرلبية المعاصرة؟

2/ كيف يمكن الاستفادة من مفهوم الافلية عند ابن خلدون فى تفسير الاقليات المعاصرة

**المنهجية:**

يقوم البحث على المنهج التاريخى المقارن فى دراسة الأقليات الاجتماعية بإحداث مقارنه تاريخيه بين مفهوم ابن خلدون لبناء عصبية القرابه وإفرازاتها

فى وجود الجماعات الفرعية ، مع الواقع المعاصر لبناء الأقلية فى المجتمع العربى بالاعتماد على ما أتى به ابن خلدون فى مقدمته حول موضوع الدراسة.

**مفاهيم الدراسة:**

المفاهيم النظرية فى هذه الدراسة تتعلق بالمبادئ الاساسية لسوسيولوجيا الأقليات ، خاصة إذا وضعنا فى الاعتبار أن مفهوم الأقلية يتداخل مع مفاهيم أخرى متصله به، إضافة الى أن المفهوم نفسه حوله كثير من المغالطات الايديولوجية والثقافية.

1/ الأقليات:

إن عبارة الأقليات تذكر أولا بتجزئة مجموعة الى مجموعتين داخليتين على الاقل تكون أحدهما أكثر عددا من الأخرى أو إذا كانت ثمة أكثر من مجموعتين داخليتين أكثر عددا منهما كلها، إلى جانب كونها الأكثر عددا يمكن للأكثريه أن تضيف خصائص أخرى فالأكثر عددا يمكنهم كذلك يكونوا الأقوى وذلك ما يحصل من وجهة نظر سياسية حصراُ فى الأنظمة الديمقراطية ويمكن أن يحصل على العكس أن يعتبر الأقل عددا هم الافضل كما فى الأنظمة الارستقراطية.

من وجهة النظر هذه تكون الأقليات مقابل الأغلبية تعويضا يتحصل من وجهة النظر السياسية ، وهذا ما يمكن ملاحظته فى الفكر الخلدونى، فالأكثر عددا يمكنهم أن يكونوا الأقوى و الأكثرية عند ابن خلدون تتمثل فى غلبة العصبية (ابن خلدون، بدون تاريخ:32).

اذا كان الأمر كذلك فإن وحدة المجموعة تكون قد تحطمت ووفقا للتمييزات الكلاسيكية عند "هيرشمان" تواجه الأقليات بثلاثة استراتيجيات ممكنة فهى تستطيع بواسطة الولاء أن تبقى فى المجموعة و أن تمتثل لإرادة الأكثرية ، او الخيار بين الانفصال والمعارضة ( بوريكو، 50:1986) ، وهذه الصياغة ما بين الولاء والمعارضة نجدها عند منظرى الأنظمة الديمقراطية.

وقد يتم إدراك وضع الأقليات وفقا لنموذجين متطرفين وكلاهما قليلا ما تحققا، وعليه يمكن فهم الأقليات وفق وجهة النظر المحافظة على انها جسما غريبا يتشكل من هامشيين معرضين لأن يكونوا منشقين ومتمردين النظره ، ولكن الأقليات يمكن التعامل معها على العكس من ذلك فإن كانت اليوم مختصره ومضطهده فهى تعد بمستقبل تساهم فيه مساهمه رئيسية فى بنائه، فظهور الأقليات هو إعلان عن عملية التمايز الاجتماعى وبروز النزاعات واشتدادها ( بوريكو، 56:1986).

إذن نحن أمام مفصلية تحديد الأقلية من الناحية السياسية والتى تعنى غلبة الأكثرية ديمقراطيا ، ومن الناحية الاجتماعية والتى تتبدى مظاهرها فى عديد النقاط مثل التهميش الاجتماعى والاقتصادى ، الإقصاء السياسى والاجتماعى والتمايز فى فى الحقوق...الخ الأمر الذى يفجر أوضاع مختله تكون معضلة فى بناء الدولة الحديثة وهذا ما يعبر عنه الواقع العربى اليوم.

فالأقلية كما يقول حيدر ابراهيم "يجب الأخذ بها من حيث التعريف الاجتماعى بأن الأقلية تعنى ليست الأقلية من حيث العدد بقدر ما هى أقلية يفرزها واقع بنائى مقوماته تكون فى عدم العدالة والمساواة الاجتماعية"( على وحنا، 12:2000).

2/ الهوية:

أبرز مشكلات الأقليات التى أحدثتها فى الوطن العربى هى قضية الهوية والمعضلات المرتبطة بها ، فمشكل الهوية الايدلوجية فى الوطن العربى تمثل إحدى مهددات بناء الدولة الحديثة الموحده وبالتالى تمثل إحدى معيقات تحديد مفهوم المواطنة أو المواطنية التى تقام على أساس العدالة الاجتماعية.

وهنا من الضرورى أن نضع حدودا فاصلة بين الهوية الثقافية والهوية الايدلوجية ، فالهوية الثقافية تقول كلنا عرب ولكن الأيدلوجية تظهر الخلافات الواسعة حول المفهوم والتى تتولد عن الذاتية المفرطة والضيقة ومشكلة الإنتماء الى الجزئيات داخل الدولة الواحده فمثلا يظل الإنتماء الى

الوحدة القرابية الكبيره مميزا فى كثير من البلدان العربية فيكون المحدد للهوية هو لفظ( بنى أو اولاد فلان).

وابن خلدون جعل من مفهوم الهوية ملازما لعصبية الدم وبالتالى يظل مفهوم العصبية كما جاء عند ابن خلدون محددا للهوية فى التاريخ المعاصر.

وتتداخل الهوية مع مصطلحات عديدة مثل الخصوصية بالذات عندما يكون الحديث عن قيم ومبادئ عامة وإنسانية مثلما نلاحظ فى نقاشات حقوق الانسان على المستويات الدولية والاقليمية والمحلية. وقد تزايد التركيز على الهوية مع تصاعد سيرورة العولمة التى يرى أصحابها أن فكرة الهوية الضيقة خطرا واضحا على الثقافات الأخرى غير الغربية ( Roland,1987:211).

ويرى البعض صعوبة تحديد وتعيين الهوية أو الخصوصية على صعيد الواقع وبالتالى اعتبر الكثيرون أن مفهوم الهوية مصطلحا أيديولوجيا وذلك لأن الهوية يمكن التعبير عنها أو تجسيدها من خلال الدين أو اللغة أو الدولة الوطنية أو القومية وكل هذه خصائص متغيره حسب طريقة استخدامها وتوظيفها لذلك يمكن لمجتمع واحد أن يبدل هويتة حسب المراحل المختلفة تاريخيا ووفقا للظروف الحاكمة ومثال ذلك التاريخ العربى المعاصر حيث أثرت الأيدلوجيات على تحديد الهوية( على ، 1998:63).

وهناك من يرى أن الهوية أصلا مجرد مصطلح سياسى ولد ضمن عملية صراع سياسى(وهبه،1991:36).

ويرى معلوف أن الهوية هى الانتماء الرئيسى الوحيد الذى يستمر فى مختلف الظروف أقوى من الانتماءات الأخرى ،فقد يكون لدى البعض الانتماء للوطن أو الدين أوالطبقة(معلوف،1999:18) .

وتتداخل الهوية مع معانى القومية والأمة والوطنية وهذه المترادفات هى التى تزيد الاهتمام، فالسؤال كيف تتشكل دولة وطنية حديثة تجمع بين كل المواطنين بلا صراعات أثنية أو دينية أو لغوية ؟ ويتجه الناس الى هوية تجمعهم وتوحدهم تجاه أى شكل من الانقسام أو الانفصال والتوتر والحروب الأهلية ،

ويقول حيدر ابراهيم حول هذا التساؤل " أن الحديث الأكثر دقة يجب أن يكون عن الهويات - بالجمع- خاصة حين تربطها مع المواطنة فهناك هوية ذات صلة بالقومية "الأمة" وأخرى هوية وطنية وأخرى هوية دينية وهوية اجتماعية ، وقد يكون جمع هذه الهويات هو ما يساهم فى خلق مواطنة جديدة منفتحـــــة " (على،4:2005).

أذن نحن أمام تيار عريض ومتنوع فى تناول مفهوم الهوية يختلف فى الظرف المكانى والاجتماعى والثقافى والسياسى المميز لمجتمع ما. لكن من الضرورى التعامل مع المفهوم بالقدر الذى يحقق المساواة والعدالة الاجتماعية والانتماء القائم على قبول الآخر لتكون النتيجة هى المواطنة بحقوقها وواجبتها.

3/ التعصب:

البحث يعمل على ايجاد الصلة الكبيرة لهذا المفهوم بالمفهومين السابقين وارتباطة بالسياق العام لهذا البحث ، إذ أن التعصب كمفهوم اجتماعى يتداخل وبصورة مباشرة بمفهوم العصبية عند ابن خلدون حيث أن مفهوم العصبية نتناوله كمحور أساسى فى مقاربة الأقليات.

يعد مفهوم التعصب من المفاهيم الأكثر تجنبا فى البحوث الاجتماعية ، ويمكن التمييز بين أشكالا مختلفة فى التعصب ، فهناك التعصب العرقى والثقافى والدينى والطائفى.

بعرف التعصب بأنه تشكيل رأى منه دون عناية كافية للحكم عليه بتأنى وفى هذا السياق يرى كل من " سمبسون ووينجر" أن التعصب سواء كان سلبيا أو ايجابيا هو موقف عاطفى وصارم تجاه جماعة من الناس، وبالتالى فإن التعصب لا ينطوى على حكم مسبق فحسب وإنما ينطوى ايضا على سؤ هذا الحكم( عبد الرحمن،83:197).

ويعرف التعصب بأنه غلو فى التعلق بشخص أو فكره أو مبدأ أو عقيده بحيث لا يدع مكانا للتسامح ، ويعنى التعصب أيضا الرأى السلبى تجاه أفراد ينتمون الى مجموعة اجتماعية معينه ، والتعصب قد يأخذ صورة عقيده دينية أو

سياسية متطرفه تتميز بدرجه عالية من الإنغلاق والتصلب( الموسوعة العربية ،1996:12-13).

ويجسد التعصب اتجاهات الفرد أو الجماعة نحو جماعات أو طوائف أخرى مع خضوع كامل لسلطة الجماعة التى ينتمى اليها مع ميل لاستخدام العنف للتعامل مع الآخرين.

وقد تسهم عدة عناصر فى تشكيل مشاعر التعصب مثل التنافس والأفكار الدينية ، عدم قبول الآخر ....الخ.

**وضع الأقليات في الوطن العربى:**

إن واقع البلدان العربية فى مسألة القوميات والأقليات يرتبط بتاريخ تركيبة الدولة القطرية العربية وبمشكلات الإندماج الاجتماعى ، فالشاهد المعاصر أن بناء الأقليات يكاد يكون ملمحا بارزا فى التكوين العربى ، ويختلف بناء الأقليات فى البلدان العربية من دولة الى أخرى فالبعض منها يقوم على الأساس العرقى والأثنى والآخر يقوم على اساس دينى وطائفى ، وآخر يقوم على اساس اقتصادى طبقى.

إن التركيبة العشائرية القبلية للبناء المجتمعى قد عمق واقع الأقليات وأدى الى تأخر بناء الدولة الوطنية القومية التى تقوم على الحقوق والواجبات المتبادلة الأمر الذى يطرح إشكالية الهوية والمواطنية وما يرتبط بها من احترام المواثيق التى تبنى عليها مفاهيم الدولة الحديثة مثل الديمقراطية والحكم الرشيد.

ثمة أمر آخر يجب الانتباه اليه وهو التنوع الثقافى الذى يتقاطع مع مع خصوصيات ثقافية ودينية أو عرقية ، ويكاد أن تتطابق الأوضاع فى ذلك وبدرجات متفاوتة فى جميع البلدان العربية مما يزيد من درجات الإقصاء تجاه الجماعات الفرعية( تقرير التنمية الانسانية العربية،2004)، وأيضا هذا الواقع المتنوع فى الثقافة - وبعض الدارسين يميلون الى تفضيل التعددية الثقافية بدلا عن التنوع الثقافى- أدى الى القهر الاجتماعى والاقتصادى( الحسن،2002:209-220).

وهذه الحالات فى سوريا عند الاكراد المحرومين من الجنسية اثر تعداد 1962، وكذلك الأخدام فى اليمن، وتتبدى هذه الصوره اكبر عند طائفة الخراطين " الأرقاء المحررين" فى مورتانيا والامازيق في بلدان الشمال العربي الافريقي، أو فى حالات البلدان العربية الأخرى التى تعانى من انقسامات اجتماعية حاده لأسباب طائفية أو عرقية.

وقضية التنوع الثقافى التى يقوم عليها الإقصاء والتهميش للجماعات هى قضية تعانى منها كثير من بلدان العالم وظهرت بشكل أكبر مع نمو الحركات القومية المسلحة التى تطالب بالحكم الذاتى الأمر الذى جعل تقرير التنمية البشرية الصادر عن الصندوق الأنمائى للامم المتحدة فى العام 009 يركز عليها واضعا الحلول لما أسماه بالقضاء على الخرافات الخمسة( تقرير التنمية البشرية ، 2004).

إضافة الى ذلك فإن مشكلات الأقليات فى الوطن العربى تتبدى مظاهرها فى استخدام العنف المسلح تحت مسمى الجماعات المهمشة والحال تاريخيا يظهر فى عديد من الدول العربية التى تخوض حكوماتها حروبا طويلة مع هذه الجماعات والمثال للحرب التى كانت دائرة فى السودان مابين الحركة الشعبية لتحرير السودان والحكومة المركزية وحاليا مع الحركات المسلحة فى دارفور، والحرب مابين الحكومة المغربية وجبهة البلوساريو.

وقد يأخذ هذا العنف أشكالا أخرى مثل العنف الطائفى كما هو الحال فى لبنان الحرب الاهلية أو فى العراق بعد سقوط صدام وذلك ما يسمية ساسة العراق القتل على الهوية، أو العنف الذى يظهر حينا ويختفى حينا آخر بين الأقباط والمسلمين فى مصر.

ومرد كل ذلك يرجع الى انعدم العدالة والمساواة فى الحقوق المبنية على قبضة السلطة المركزية و الهيمنة الثقافية والاقتصادية ( على وحنا، 97:2002). هذا الواقع شكل وضعا هامشيا للجماعات الفرعية داخل الوطن العربى تتعاطى معه هذه الجماعات حينا أو استمرارا فيما يسمى بالعنف السياسى، فعلاقة

التهميش بهذا العنف يعد ظاهره اجتماعية وسياسية، فمثلا "هبس" كشف عن ارتباطا متبادلا بين ارتفاع معدلات الناتج الوطنى الإجمالى والتراجع فى العنف السياسى( بادى،28:2001).

وكثيرا ما تُعبرالأقليات فى الوطن العربى عن نفسها أمام المشكلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى تواجهها بعدة وسائل حتى وإن كان بعضها يأخذ صوره عنيفة ، فظاهرة الإسلام السياسى أحد عوامل نموها فى الوطن العربى - كما اجمع المتخصصون فى هذا المجال- هو القهر الاقتصادى والاجتماعى والسياسى ، فالأقليات الفقيرة تحتويها مثل هذه الجماعات تحت مبادئ العدالة والمساواة ،فالناظر الى أكبر حركات الإسلام السياسى التى خاضت العصيان المسلح فى الوطن العربى يلمح ذلك كما فى الجزائر حقبة التسعينات ومصر.

هنالك أمر آخر يجب الالتفات الية فى بناء الأقليات وهو أن طبيعة البنية الاجتماعية والسياسية التقليدية للسلطة تقف عائقا أمام الإندماج الاجتماعى بين فئات المجتمع وتساعد كثيرا فى خلق العزلة والتعصب ،والمأزق يتجسد هنا فى عدم قدرة هذه السلطة على خلق نموزج وطنى يوحد بين الجماعات الفرعية التى أصبحت تمثل ملجاءا آمناً للفرد وينتمى إليها فى ظل غياب أمن الدولة .

فطبيعة البناء العشائرى الذى يكرس لسلطة القرابة والأسرة ويباعد عن مفهوم الدولة الوطنية ليحل محلة الانتماء القبلى والعشائرى والقرابى الذى يحدد هوية الفرد فى هذه المجتمعات كما يشير فى ذلك هشام شرابى فى كتابه البنية البطريكية(شرابى،1987: 38-56)، ويرى آخرون نفس هذه الحقيقة التى أبانها شرابى فى بناء الأسرة التقليدية فى الوطن العربى التى تكرس التمييز ضد الجماعات الفرعية ، كما أشرت من قبل حتى هويتنا تحدد بناء على ذلك، فالعربى عند سؤالة من أنت لا يقل لك انه مصري أو تونسى ....الخ وإنما يقل لك أنا من العائلة او القبيلة كذا.

إذن أكبر معضلة فى بناء الدولة الوطنية العربية يتمثل فى واقع الأقليات أو الجماعات الفرعية ،فما هوالمخرج ؟ تقرير التنمية الانسانية العربية الثالث يرى أن المخرج يكون فى القضاء على أى شكل من أشكال التمييز ضد الجماعات الفرعية ، ففى مجتمع الحرية والحكم الرشيد لا تبقى أى فئات محرومة من حقوق المواطنة (تقريرالتنمية العربية الإنسانية ، 2004).

و يرى حيدر ابراهيم فى كتابة "أزمة الاقليات فى الوطن العربى" أن التعامل مع قضية الأقليات يجب أن يأخذ منحى إعطاء الأقلية حكما ذاتيا يسمح لها بإدارة شئونها الذاتية (على وحنا، 114:2002).

**سوسيولوجيا الأقليات عند ابن خلدون:**

قبل الدخول فيما نحن بصدده من الدراسة يكون من المفيد التحدث فى العناصر التى شكلت الوعى عند ابن خلدون وطريقة تعاطيه لقضايا عصره ، ويكاد يتفق الجميع على أن الظروف الأسرية التى أحاطت بابن خلدون والظروف السياسية والمجتمعية التى نشأ فيها لعبت دورا كبيرا فى تشكيل الوعى عنده ،فقد كانت أسرته قريبه من الحكم والسلطان والسياسة ومهتمة بالبحث و العلم، إضافة الى تواجده فى ظروف مجتمعية تكرس وتحتفظ بالنظام العشائرى والقبلى مضافا اليها مجموعة تناقضات اجتماعية وخاصة فى الحضر وانتعاش التجاره فى المدن الساحلية المتوسطية ، كل ذلك كان له تأثيرا كبيرا فى فكر ابن خلدون بوصفها مسرح ملاحظاته ومقارناته.

إن القراءة المتأنية فى مقدمة ابن خلدون تفصح عن أسهامات متعدده فى رؤية التكوين المجتمعى فى بناءاته المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية، وإن كان فئة من الباحثين يرون ابن خلدون لا يصنف عالما فى الاجتماع بقدر ما يصنف انه مؤرخا اجتماعيا استطاع أن يقدم مشاهده واقعيه لتاريخه ، الا أن من المهم سواء أن كان سوسيولوجيا أو مؤرخا اجتماعيا أن نشهد له بقدره فائقة على قراءة مجتمعة بصوره تسمح لنا

كدارسين فى علم الاجتماع الاستفاده من استشهاداته في تحليل الظواهر الاجتماعية المعاصره.

ومن الضرورة الاشاره هنا الى أن المقاربة التى نحن بصددها ليست بالتقليدية وإنما تبحث فى بناء الأقليات وإفرازاتها فى الواقع المعاصر وبناء الأقليات فى النظرية الخلدونية، والحالة هنا ليست بالمماثلة او التشبيه بقدر ما هى تهاديا وتناغما فى سوسيولوجيا ابن خلدون من بين سطور مقدمته.

فهذه المقاربة التقليدية هى التى افسدت وباعدت ما بيننا والمدرسة الخلدونية المعاصره والتى يصر عليها دارسى الاجتماع طلابا وأساتذه فى الجامعات العربية .

وفى كل الأحوال من الصعوبة إجراء هذه المقاربة فى الوقت الحاضر بما يكفى من التفسيرات والتحليلات الموضوعية لجميع الظواهر الاجتماعية .

ففى القراءة المتأنية لابن خلدون فى الأقليات نلمح بحذر سوسيولوجيا الفكر الخلدونى فى بناء الأقليات مع الوضع فى الاعتبار التاريخ والبناء الاجتماعى والسياسى والاقتصادى الذى أفرز الفكر الخلدونى ،فمن الملاحظ أن ابن خلدون قد أشار الى بناء الأقليات ضمنا فى مقدمته، فالشاهد أن ابن خلدون قد تحدث قصداً او عرضاً عن الأقليات فى واقعها السياسى والاجتماعى وخاصة الاقلية بمفهومها السياسى، مع الأخذ فى الاعتبار أن نظرية ابن خلدون لم تعطينا توضيحا حول الأقلية الاقتصادية لأن مفهوم الطبقات الاجتماعية لم يتعامل معه ابن خلدون إلا فى إطار صيرورة الدولة كما يتضح عنده فى نظرية الدولة.

وستناقش الدراسة بناء الأقلية فى الفكر الخلدونى وفق المحاور الآتية:

أ/ العصبية وبناء الأقليات.

ب/ تحديد الهوية فى إطار عصبية الدم وتأثيرها فى بناء الأقليات.

ج/ معنى الأغلبية فى الفكر الخلدونى.

د/ بناء السلطة وتكريس الأقليات وإقصاء الآخر.

ففى الفصل الثامن من مقدمة ابن خلدون والمعنون تحت "فى أن العصبية إنما تكون بالإلتحام بالنسب أو فيما معناه" يقول ابن خلدون: ( وذلك أن صلة الرحم طبيعى فى البشر إلا فى الأقل ومن صلتها النعره على ذوى القربى واهل الارحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة فإن القريب يجد فى نفسه غضاضة من ظلم قريبة أو العداء عليه ويود ولو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك نزعة طبيعية فى البشر ..... فتحمل على النعرة لذوى نسبه بالامر المشهور منه.... وهذا الإلتحام الذى يوجب صلة الأرحام حتى تقع المناصره والنعرة وما فوق ذلك مستغنى عنه....) (ابن خلدون، بدون تاريخ:128-129) .

الناظر الى النص اعلاه يرى أن الإطار العام لسوسيولوجيا الأقليات يبدأ من مفهوم العصبية "روابط الدم" الذى يقوم على مفهوم الإقصاء " إقصاء الآخر" وهذا طبيعى إذا وضعنا فى الإعتبار البناء الاجتماعى التقليدى القبلى الذى يحيط بابن خلدون ، وهذا يعيد مجددا مقولة إشكالية التربية الاجتماعية العربية التى هى بداية التعصب الأثنى والدينى والطائفى التى يعززها هذا البناء فى إطار من المؤسسات والقوانين والعادات والقوانين والقيم ( الاحمد واسعد،2002،ص136). المهم هنا أن أرضية بناء الأقليات القائمة على عصبية الدم يمكن ملاحظتها عند ابن خلدون وهذا واقع معاصر فى المجتمع العربى الحديث تخلقت عنه كثير من المشكلات حول بناء الدولة ،والنموذج الواضح لذلك هو التناقضات السائدة فى مفهوم الهوية الايدولوجية نلاحظه مثلا فى السودان والمغرب، إذن ابن خلدون تحدث عن التمايز داخل المجتمع من خلال المناصرة والنعرة القائمة على قرابة الدم.

إذن الواقع القبلى الذي يميز البناء الاجتماعى السياسى العربى لا يتعامل مع مفهوم القومية وإنما مع الإطار القرابى الضيق الذى يكرس للتعصب وهو أحد مؤشرات بناء الأقلية فى داخل المجتمع الواحد ،فأبن خلدون يقول فى ذلك:( أعلم كل حى أو بطن من القبائل وإن كانو عصابة واحد لنسبهم العام ففيهم أيضا عصبيات أخرى لأنساب خاصه هى أشد التحاماً من النسب العام لهم

مثل عشير واحد وأهل بيت واحد أو أخوة لبنى أب واحد مثل بنى العم الأقربين أو الأبعدين ... والنعرة تقع من أهل نسبهم المخصوص ومن أهل النسب العام...) ( ابن خلدون، بدون تاريخ:131).

ويذهب أبن خلدون الى أبعد من ذلك فى إطار العصبية التى تتجدد من خلاله المفهوم العكسى للأقلية وهو الأغلبية ، هذا من جانب ومن جانب آخر العصبية التى تقوم عليها السلطة ويترتب عليها فى القراءة المتأنية للفكر الخلدونى صعوبات للوسائل المحققة للاندماج الاجتماعى والسعى الى إقصاء الآخر.

ففى الجانب الأول يقول ابن خلدون:( وذلك أن الرئاسة لا تكون إلا بالغلب والغلب إنما يكون بالعصبية فلا بد فى الرئاسة على القوم أن تكون عصبية غالبة لعصبياتهم واحدة واحدة لأن كل عصبية منه إذا أحست بغلب عصبية الرئيس لهم أقروا بالإذعان والإتباع والساقط فى نسبهم بالجملة لا تكون له عصبية فيهم بالنسب ...وغاية التعصب له بالولاء والحلف وذلك لا يوجب له غلبا عليهم البتة وإذا فرضنا أنه التحم بهم وأختلط فكيف له الرئاسة قبل هذا الإلتحام أو لأحد من سلفه والرئاسة على القوم إنما تكون متناقلة فى منبت واحد تعين له الغلب بالعصبية...) (ابن خلدون ، بدون تاريخ:132).

أما الإقصاء فيظهر فى نظرية الدولة والسلطة عند ابن خلدون تلك النظرية المتناقلة فى أربعون عاما والقائمة على الإقصاء للعصبيات بعضها البعض، ودورة الدولة ما هى إلا تعبيرا عن تهميش اجتماعى يظهره النزاع فى إطار العصبيات.

مظهر آخر لسوسيولوجيا الأقليات فى الفكر الخلدونى يرتبط بمفهوم العصبية القائمة على قرابة الدم تتمثل فى تصنيفة الاجتماعى للطبقات بتقسيمه المجتمع الى فئتين أحدهما تمتلك صفات الشرف والأصالة والأخرى هم فئة من أقل حظا اجتماعيا وتبنى هذه الفكره والتقسيم بناءاً على الحسب والنسب ،وفى ذلك أشاره لبناء الأقليات اجتماعيا ويظهر ذلك فى قول ابن خلدون: ( ذلك أن الشرف والحسب إنما هو بالخلال ومعنى البيت أن يعد الرجل فى آبائه

أشرافا مذكورين يكون له بولادتهم إياه والإنتساب اليهم ... أن ثمرة الأنساب وفائدتها إنما هى بالعصبية للنعرة والتناصر فحيث تكون العصبية مرهوبة المنبت فيها زكى محمى تكون فائدة النسب أوضح... فيكون الحسب والشرف اصليين فى أهل العصبية لوجود ثمرة النسب وتفاوت البيوت فى هذا الشرف بتفاوت العصبية) (ابن خلدون، بدون تاريخ:170-174) .

ويواصل ابن خلدون فى هذا التفاوت الاجتماعى القائم على الحسب والنسب قيقول: (... فى أن البيت والشرف للموالى وأهل الاصطناع إنما هو بمواليهم لا بأنسابهم ... فيصير من هولاء ويندرج فيهم فإذا تعددت له الآباء فى هذه العصبية كان له من بينهم شرف وبيت ولائهم واصطناعهم ... يكون أدون منهم على كل حال...) (ابن خلدون، بدون تاريخ:134).

وفى جانب هام فى تحديد الأقليات السياسية نجد أن هناك مطابقة وتشابه فى وجود أقلية تفرض أوضاع سياسية متمثلة فى السلطة وما يترتب عليها من تبعات إقصاء الآخر فى داخل الدولة الواحده وأغلبة يكون نتيجه لسيطره جماعه عرقية أو أثنية للحكم تعقبه سيطره اقتصادية وهذا الحال افرز واقعا معاصرا فى أقليات البلدان الغربية مثل السودان وموريتانيا والمملكة المغربية ويظهر فى بعض الأحيان فى بعض البلدان العربية الأخري فيما يعرف بمجتمعات الهامش.

وابن خلدون يتناول ذلك فى إطار تتداول السلطة الذى هو تداولاً غير سلمياً يعلن عن نفسه فى صراع العصبيات نحو الرئاسة والملك وفى ذلك يقول ابن خلدون: ( ... فإذا تعين اولئك القائمون بالدولة وانغمسوا فى النعيم وغرقوا فى بحر الترف والخصب واستبعدوا إخوانهم من ذلك الجيل وانفقوا فى وجوه الدولة ومذاهبها وبقى الذين بعدوا عن الأمر وكبحوا عن المشاركة فى ظل من عز الدولة التى شاركوها بنسبهم وبمنجاة من الهرم لبعدهم عن الترف وأسبابه فتسموا آمالهم الى الملك الذى كانوا ممنوعين منه بالقوه الغالبة من جنس

عصبيتهم وترفع المنازعة لما عرف من غلبهم فيستولون على الأمر ويصير إليهم..) (ابن خلدون، بدون تاريخ:136).

**النتائج:**

لا شك أن مسألة الأقليات بأشكالها المختلفة فى البلدان العربية قضية تمتد فى جسم المجتمع العربى حاضراً ومستقبلاً وماضياً ،وإن كنا بحثنا فى المقاربة الخلدونية والواقع المعاصر لذلك للإشاره الى مسألتين فى غاية الأهمية : أولهما التأكيد على أن الفكر الخلدونى ليس بفكر المؤرخ الاجتماعى الذى يرصد حركة المجتمع ، والثانية التأكيد على أن بنية المجتمع العربي التقليدي برغم من حركة التاريخ المتطور لعبت دورا هاما فى مشكلات التمايز الاجتماعى فى واقعنا المعاصر.

فلا زالت عملية الإندماج الاجتماعى فى البلدان العربية تسير ببطء فى بناء المجتمع ولا زالت التركيبة القبلية تظل الداعم الأساسى للهويات القُطرية وما يتبع ذلك مشكلات القبول بالآخر، هذا الواقع خلق إختلالات فى جسم الدولة العربية من وجود الجماعات الفرعية ومجتمعات الهامش السياسى والاجتماعى والاقتصادى الأمر الذى ترتب عليه غياب العدالة الاجتماعية والمواطنة على أساس دولة القانون ، وكان من الطبيعى مع تطور الأوضاع الاجتماعية السياسية والاقتصادية ألا تظل جماعات الهامش على أوضاعها الخانعة التابعة فقد كانت النتيجة لهذا الوضع ظهور الحركات المطالبة بحقوقها والتى تطورت لاحقا الى حركات مسلحة مطالبة بحقوق الأقليات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، أكثرها تسامحا تطالب بالمساواة فى إطار الدولة الواحدة وأكثرها تطرفا تنادى بالحكم الذاتى وحق تقرير المصير.

أبن خلدون كما أشار البحث لم يكن بعيدا عن ذلك ففى حديثة وتحليلة لبناء السلطة القائمة على العصبية أوضح التركيبة الاجتماعية التى أفرزت مشكلات الإندماج الاجتماعى وبناء الأقليات وإن كانت فى ظرف مكانى وتاريخى مختلفين، فنحن أمام حقيقة تدحض اتجاهات الكثير من الكتاب الذين يرون أن تاريخ

الأقليات فى الوطن العربى هو نتاج الاستعمار الأوربى، وذلك وحده لا يكفى بل يجب القول أن البنية الاجتماعية القبلية السائده وما صاحبها من بناءات اجتماعية مختلفة اوجدت للمستعمر الاوربى الأرض الخصبة فى خلق تاريخ الأقليات.

**الخاتمة:**

هذه المحاولة البحثية هدفت أولا وآ خيرا لضرورة التنبية بتجنب الوقفة الكلاسيكية فى فكر أبن خلدون والمحاولة فى قراءة الفكر الخلدونى بالصورة التى تساعدنا فى صناعة المدرسة الخلدونية فى الفكر الاجتماعى العربى،وهذا هو اجتهاد المتواضع وإن إختلف معى الآخرين.

## قائمة المصادروالمراجع

ابن خلدون، عبد الرحمن،(بدون تاريخ) المقدمة، دارالفكر، بيروت.

أبوزيد،احمد،( 1983) موقفنا من التراث ، مجلة عالم الفكر، مج14،العدد العاشر، الكويت.

الحسن، إدريس سالم،(2002) رؤى سودانية، مركز الدراسات الاستراتيجية، الخرطوم.

أسعد، على- والأحمد، عبدالرحمن(2002) التعصب ماهية وانتشارا فى الوطن العربى، فى مجلة عالم الفكر ، مج30، العدد الثالث، الكويت.

بادى، بيرتراند،(2001) التنمية السياسية، ترجمة محمد نورى، تالة للطباعة والنشر، طرابلس.

بوريكو، بودون وف( 1986) المعجم النقدى لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حداد، المؤسسة الجامعية للنشر، الأردن.

خليل، معن،( 1992) نحو علم اجتماع عربي، دار مجدلاوي للنشر، الأردن- عمان.

لبيب، الطاهر،( 1989) نحو علم اجتماع عربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

عبد الرحمن، سعد،( 1970) عملية التطبيع الاجتماعى وأزمات التحامل والتعصب فى مجتمعاتنا العربية المعاصرة، فى مجلة عالم الفكر، مج1، العدد الأول، الكويت.

على، حيدر ابراهيم وحنا،ميلاد،(2002) أزمة الأقليات فى الوطن العربى، دار الفكر العربى، دمشق.

على، حيدر ابراهيم،( 1998) العولمة وجدل الهوية، مركز الدراسات السودانية، القاهرة.

على، حيدر ابراهيم،( 2005) الهوية والمواطنة، ورقة قدمت فى ورشة عمل التعددية الثقافية، جامعة الخرطوم.

شرابى ، هشام،(1987) البنية البطريكية- بحث فى المجتمع العربى المعاصر، دار الطليعة، بيروت.

معتوق ، فردريك،(2001) كيس الفحم الاجتماعى، ورقة عمل، ملتقي الجمعية العربية لعلم الاجتماع، بيروت.

معلوف، أمين،( 1999) الهويات القاتلة، دار النهار، بيروت.
وهبة، موسى،( 1991) الهوية: التواصل واللغة، فى مجلة مواقف، العدد65.
الموسوعة العربية العالمية،( 1996) مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، السعودية.
Roland, Robertson (1987), Globalization and social modernization: A note on Japan and Japanese religion in sociological analysis.
تقرير التنمية الانسانية العربية،(2004)،نحو الحرية فى الوطن العربي برنامج الأمم المتحدة الإنمائى.نيويورك.
تقرير التنمية البشرية( 2004) برنامج الأمم المتحدة الإنمائى. نيويورك